المحاضرة الثامنة:

مخالفة ظاهر اللفظ معناه.

ومن هذه الظواهر التي تميزت بها لغة القرآن الكريم **مخالفة ظاهر اللفظ معناه** أي خروج الكلام على خلاف الظاهر.

أي من النصوص ما يحتاج إلى اعتماد الأدلة والقرائن غير النقلية التي هي من خارج النص لبلوغ مراد المنشئ والكشف عن رسالته الإبلاغية إذ يلجأ الباحث أو الدارس إلى العقل أو المنطق أو القيم الاجتماعية لتوجيه معنى النص وحل المعاني المشكلة وإزالة غموضه، أو ما يتبادر إلى الذهن من سوء فهم بسبب من تمكن المنشئ من ناصية الفصاحة والبيان وابتعاده بالألفاظ عن معانيها الحسية والاتجاه بها إلى المعاني المجازية لقرائن لغوية تبيح له ذلك. [1]

وهذه بعض المواضع التي خالف فيها ظاهر اللفظ معناه كما أشار إلى ذلك ابن قتيبة في كتابه مشكل القرآن. [2].

01: الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع.

كقول الله عز وجل: (**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**) [الذاريات: 10] ، و(**قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ**) [عبس: 17]، (**وقاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [التوبة: 30] وأشباه ذلك.

ومنه: قول رسول الله صلّى الله عليه وسلم، للمرأة: «**عقرى حلقى**» ، أي عقرها الله، وأصابها بوجع في حلقها.

وقد يراد بهذا أيضا التعجب من إصابة الرجل في منطقه، أو في شعره، أو رميه، فيقال: قاتله الله ما أحسن ما قال، وأخزاه الله ما أشعره، ولله درّه ما أحسن ما احتج به.

02: الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان.

نحو قول الله تعالى:(**إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**) [البقرة: 14، 15] ، أي يجازيهم جزاء الاستهزاء.

---

[1] : النص اللغوي بين السبب والمسبب – نهاد فليح حسن العاني – دار الكتب العلمية – 2007م – ص: 70.

[2] : تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة – ص: 170 وما بعدها.

وكذلك: (**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**) [آل عمران: 54] ، (**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**) [الشورى: 40] ، هي من المبتدئ سيئة، ومن الله عز و جل جزاء.

وقوله: (**فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ**) [البقرة: 194] :

فالعدوان الأول: ظلم، والثاني: جزاء، والجزاء لا يكون ظلما، وإن كان لفظه كلفظ الأول؛ وكذلك قوله: (**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**) [التوبة: 67].

03: أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير.

كقوله سبحانه:(**وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى**) [طه: 17]؛ و(**ماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**) [القصص: 65] ، (**قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ**) [الأنبياء: 42] .

04: أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تعجب:

كقوله تعالى: (**عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**) [النبأ: 1، 2]، كأنه قال: عمّ يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عن النبأ العظيم يتساءلون.

05: أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو توبيخ.

كقوله: (**أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ**) [الشعراء: 165] .

06: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد:

كقوله:(**اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ**)[فصلت: 40] .

07: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تأديب:

كقوله: (**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**)[الطلاق: 2]، (**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**) [النساء: 34].

08: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو إباحة:

كقوله: (**فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً**)[النور: 33]،(**فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**) [الجمعة: 10] .

09: أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو فرض:

كقوله: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) [البقرة: 282] ، (**وأَقِيمُوا الصَّلاةَ**)[الأنعام: 72] ، (**وَ آتُوا الزَّكاةَ**)[البقرة: 43].

10: عام يراد به خاص.

كقوله سبحانه حكاية عن النبي، صلّى الله عليه وسلم: (**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**) [الأنعام: 163] ، وحكاية عن موسى:(**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**) [الأعراف: 143] ولم يرد كل المسلمين والمؤمنين، لأن الأنبياء قبلهما كانوا مؤمنين ومسلمين، وإنما أراد مؤمني زمانه ومسلميه.

وكقوله سبحانه: (**قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا**)[الحجرات: 14] ، وإنما قاله فريق من الأعراب.

وقوله: (**وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ**) [الشعراء: 224] ولم يرد كل الشعراء.

وقوله: (**يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً**)[المؤمنون: 51] ، يريد النبي صلّى الله عليه وسلم، وحده.

11: جمع يراد به واحد واثنان.

كقوله: (**وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)[النور: 2]: واحد واثنان فما فوق.

وقال قتادة في قوله تعالى: (**إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ**) [التوبة: 66]: كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلّى الله عليه وسلم، ويسير مجانبا لهم، **فسماه الله طائفة وهو واحد.**

وكان «قتادة» يقول في قوله تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ**) [الحجرات: 4]: هو رجل واحد ناداه: يا محمد، إنّ مدحي زين، وإنّ شتمي شين.

فخرج إليه النبي، صلّى الله عليه وسلم فقال: «**ويلك، ذاك الله جل وعز**» ونزلت الآية.

وقوله سبحانه: (**فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**)[النساء: 11] ، أي أخوان فصاعدا.

وقوله سبحانه: (**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ**)[الأعراف: 150]، جاء في التفسير: أنهما لوحان.

وقوله: (**إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما**)[التحريم: 4]، وهما قلبان.

وقوله:(**أُولئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**)[النور: 26]، يعني عائشة وصفوان بن المعطّل.

وقال:(**بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**)[النمل: 35]، وهو واحد، يدلك على ذلك قوله:(ارْجِعْ إِلَيْهِمْ)[النمل: 37].

12: ومنه واحد يراد به جميع.

كقوله: (**هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ**)[الحجر: 68]، وقوله: (**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ**) [الشعراء: 16]، وقوله:(**نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**)[الحج: 5] .

وقوله: (**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**) [البقرة: 285] والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا، وقوله: (**فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ**) [الحاقة: 47]، والعرب تقول: فلان كثير الدرهم والدينار، يريدون الدراهم والدنانير.

وقال الله عز وجل: (**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ**) [المنافقون: 4]، أي الأعداء، (**وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً**)[النساء: 69]، أي رفقاء.

13: أن تصف الجميع صفة الواحد:

نحو قوله: (**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا**)[المائدة: 6]، وقوله:(**وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ**) [التحريم: 4] .

وتقول: قوم عدل.

14: أن يوصف الواحد بالجمع.

نحو قولهم: برمة أعشار، وثوب أهدام وأسمال، ونعل أسماط، أي غير مطبقة.

15: أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما.

كقوله سبحانه:(**فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما**) [الكهف: 61]؛ روي في التفسير: أن النّاسي كان يوشع بن نون ويدلّك قوله لموسى، صلّى الله عليه وسلم: (**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**)[الكهف: 63].

16: أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما، أو تنسبه إلى أحدهما وهو لهما.

كقوله:(**وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها**) [الجمعة: 11]، وقوله: (**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ**) [التوبة: 62] .

17: أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب.

كقوله عز وجل: (**حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها**) [يونس: 22].

18: ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره.

كقوله:(**فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ**)[هود: 14]، الخطاب للنبي صلّى الله عليه وسلم، ثم قال للكفار(**فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ**)[هود: 14] يدلك على ذلك قوله: (**فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) [هود: 14].

19: ومنه أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوق أمرك الاثنين: فتقول: افعلا.

قال الله تعالى: (**أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**) [ق: 24]، والخطاب لخزنة جهنم، أو زبانيتها؛ قال الفراء: والعرب تقول: ويلك ارحلاها وازجراها.

20: أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع.

كقوله سبحانه:(**قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**) [المؤمنون: 99] ، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك، لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا، بقوله الواحد منهم يعني نفسه، فخوطبوا بمثل ألفاظهم. يقول الله عز وجل: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**). [يوسف: 3]، (**وإِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ**) [القمر: 49].

21: أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان.

نحو قوله: (إِنَّ **الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً، ثم قال: وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ**)[النمل: 34]، وليس هذا من قولها، وانقطع الكلام عند قوله: أَذِلَّةً، ثم قال الله تعالى: (**وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ**).

22: أن يأتي الفعل على بنية الماضي وهو دائم، أو مستقبل.

كقوله: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**) [آل عمران: 110]، أي أنتم خير أمّة.

23: ومنه أن يجيء المفعول به على لفظ الفاعل.

كقوله سبحانه: (**لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ**)[هود: 43] ، أي لا معصوم من أمره.

24: أن يأتي فعيل بمعنى مفعل.

نحو قوله: (**بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**) [البقرة: 117]، أي مبدعها. وكذلك: (**عَذابٌ أَلِيمٌ**)[البقرة: 10]، أي مؤلم.

25: وفعيل يراد به فاعل. نحو: حفيظ، وقدير، وسميع، وبصير، وعليم، ومجيد.

26: أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به، وهو قليل. كقوله:(**إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**)[مريم: 61]، أي آتيا.